اقدم المخطوطات النصرانيَّة العربيَّة

نظرٌ للاب لويس معلوف اليسوعيّ

المقدمة

في المتحف البريطاني في لندن مخطوط لم يُدرج حتى الآن في فهرست المخطوطات العربيَّة المطبوع (Br. Museum: Two treatises on christian Theology, Or. 4950) ولذلك لم يزل يجهلهُ اكثر العلماء الذين يُعنَون بالآثار العربيَّة ولاسيَّما النصرانيَّة منها. ولهذا الكتاب شأن عظيم لقدمهِ ولم اعهد في مكاتب اوربَّة ومتاحفها مخطوطاً يفوقهُ قدماً بين المخطوطات النصرانيَّة العربية

ومن تصفَّح هذا الكتاب استدلَّ بمجرَّد النظر اليهِ على قدم عهده فانهُ مخطوط على ورق صفيق بقلم يأخذ من الخطَّين الكوفي والنسخي ويقرب من السريانيّ وهو الخطّ الذي ألفهُ نصارى العرب في القرن التاسع والعاشر فما بعد كما يُرى في الرسوم الفوتوغرافيَّة التي رسمتها السيِّدة الانكليزيَّة جبسون (M. D. Gibson) عن مخطوطات دير طور سينا العربيَّة

وهذا الدليل مع قوَّتهِ يؤيدهُ دليل اوضح واقطع ألا وهو تاريخ الكتاب الذي يُرى في آخرهِ حيث ورد ما حرفهُ:

« تمَّ المصحف بعون الله وقوته ونعمته وكان كمال كتابه في اول يوم من ذقمبرس يكون من حساب سني الدنيا على ما يُقبل في كنيسة القيامة بيت المقدس سنة ست آلاف وثلثماية وتسعة وستين ومن سني الاكسندروس سنة الف ومائة وثمنية وثمنين. ويكون من سني العرب في شهر ربيع الاوَّل من سنة اربع وستين ومايتين كتبهُ الخاطي المسكين الحقير اصطافني بن حكم يُعرف بالرملي في سيق ماري خريطن لمعلمه الاب الفاضل الطهر الروحاني انبا بسيل عمره الله. اذا انت قرات فاذكرني لا تنسا لا نسيك الله واقامك عن يمنه واسمك ذلك الصوت البهي المحبوب المفرح اذ يقول تعالوا يا مباركي ابي رثوا الملك المعد لكم من قبل انشاء العالم. يكون لنا ذلك بشفاعة مرتمريم الطاهرة وماري يوحنا وصلوات جميع الآباء الابرار امين امين »

فيكون اذن تاريخ هذا المخطوط سنة ٨٧٧ المسيح ولا نعرف كتاباً نصرانياً

خطّ قبل هذا العهد صبر مثلهُ على آفات الزمان اللهمَّ الّا بعض مقاطيع من التوراة والاناجيل

ولعلَّ القارئ يسألنا وأنَّى حصل المتحف البريطاني على هذا السفر الجليل ؟ قلنا : انَّ لفي ذلك سرًّا لم يمكنّا كشفه مع تحفّينا في السؤال. وغاية ما علمنا انَّ الكتاب دخل المتحف المذكور سنة ١٨٩٥ واصله من بلاد الشرق. ولو لم يُنزع من اوَّلهِ ورقتان لأطلعنا على فوائد أخرى اغنتنا عن البحث

والمجلّد الذي نحن في صددهِ عبارة عن ٢٣٨ صحيفة وفي كل صفحة ٢١ سطرًا. وهو يتضمَّن تأليفين مختلفين احدهما في ٤٠ صفحة وهو الثاني لثاودورس ابي قرَّة اسقف حرَّان (راجع المشرق ٦ : ٦٣٣) في عبادة الصور نشرهُ بالطبع سنة ١٨٩٧ ارندزن في بونه (١. امَّا التأليف الآخر فهو في صدر الكتاب وقسمه الاكبر يتضمَّن ملخَّص العقائد النصرانيَّة في خمسة وعشرين بابًا في وحدانيَّة الله وتثليث اقانيمهِ وحلول الكلمة في احشاء العذراء مريم وتأنُّس ابن الله ولاهوت المسيح وصحَّة الدين المسيحي وانتشارهِ بين الامم الى غير ذلك من المباحث الجليلة التي عرضها صاحبها باجلى بيان واقطع برهان مستندًا في حججهِ الى آيات الكتاب واقاويل الآباء والدلائل النظريَّة على طريقةٍ قريبة المنال جزيلة المنى لا يأباها في عهدنا ائمَّة اللاهوتيين وكبار الخطباء.

امَّا مؤلف هذا الكتاب واسمهُ فسقطا بسقوط الورقتين الاولين. على أنّنا لا نشكّ في انَّ كاتب هذا التأليف انَّما هو ايضًا ثاودورس ابو قرَّة اسقف حران (٢. ولنا

---

١) وهذا اسم الكتاب Theodori Abu-Korra de cultu Imaginum libellus. Dissertatio philologica, Joannis Arendzen, *Bonnae* 1897

٢) بحثنا في المشرق (٦ : ٦٣٣) عن تاريخ ابي قرَّة المذكور ورجَّحنا انهُ كان اسقفًا على مدينة قارة وعاش في اواخر القرن الثامن للمسيح واوائل التاسع. ثم وجدنا لهُ ذكرًا في بعض التآليف القديمة فنرويها هنا ليرى القرَّاء تضارب الاقوال في حقّ هذا الرجل الشهير. ١ً جاء في كتاب الاشراق في الاصول الدينيَّة لدانيال السرياني المارديني « انَّ الروم قالوا بمشيئة واحدة وفعل واحد الى زمان مكسيموس الراهب وتاودريقي الحرَّاني ويوحنَّا الدمشقي » فدعا ابا قرَّة تاودريقي (ونظنُّهُ تصحيف تاودوريق) ونسبهُ الى حرَّان وجعلهُ بين المناقضين لبدعة المشيئة الواحدة مع القديسين الجليلين مكسيموس ويوحنَّا الدمشقي. ٢ً وجاء في كتاب الشرق المسيحي للوكيان (٢ : ٨٤٩) نقلًا عن كتاب مخطوط قديمًا باليونانية انَّ ثاودورس هذا كان اسقفًا على مدينة حرَّان في سوريَّة المجوفة « ἐπίσκοπον γεγονότα χαῤῥὰν τῆς κοίλης Συρίας Θεόδωρον ». ٣ً وروي في كتاب مصباح الظلمة لابي بركات انقبطي انَّ ابا قرَّة من كتبة النساطرة. ٤ً وفي قائمة

على ذلك بعض الادلة : الدليل الاول ان هذا المجلد بقلم واحد وورق متشابه . فلا يبعد ان يكون التأليف الاول لابي قرة كما ان الثاني له بلا شك . الدليل الثاني التشابه في اللغة بين التأليفين يدل على ان الكاتب واحد . الدليل الثالث ان عربية هذا التأليف تشبه شبهاً تاماً في تراكيبها وخواصها اللغوية عربية الميمر الذي نشره حضرة الاب قسطنطين باشا في صحة الديانة النصرانية وهو لابي قرة كما بيّنا . الدليل الرابع طرق الكلام واساليبه ايضاً واحدة في هذا الكتاب وفي التآليف التي نعرفها لابي قرة منها اتساعه في البراهين العقلية واستعماله للتشابيه الحسية والامثال الى غير ذلك مما امتازت به تآليفه المحفوظة باليونانية او العربية لاسيما اننا لا نعرف قبل ابي قرة كاتباً عربياً توسع مثله في العقائد النصرانية وشرحها شرحه

وفي هذه النسخة بعض خواص تفردت بها لا بد من الاشارة اليها . منها كتابة الألف في آخر الكلم على صورة ا طويلة كقوله « قضا ومعنا » بدلًا من « قضى ومعنى » . ومنها اختصار بعض الألفاظ كقول « منجله » يريد « من اجله » . وكذلك يبقي الواو والياء حيث يجب حذفهما فيكتب « لم يكون » و « لم يبيع » وهذه الاغلاط اكتفينا بالتنبيه اليها وقد اصلحناها في المثال الذي نورده هنا

وقد نقلنا هذا المثال من اربعة ابواب وهي الخامس والسادس والسابع والثامن

مخطوطات لندن السريانية لرَيت (Wright) في الجزء الثاني (ص ٩٠) « قصة مار شمعون من زيتا اسقف حرّان ونصيبين المعروف عند العرب بابي قرّة » ويقال هناك انه كان في بغداد سنة ١١٣٥ للاسكندر اي سنة ٨٢٤ للمسيح . ° وبين مخطوطات مكتبة باريس جدال جرى في حضرة المأمون بين عبد يشوع جاثليق النساطرة وبين ابي قرّة الملكيّ وابي رائطة اليعقوبي . فيؤخذ من هذه الشهادات المتناقضة انه وجد كاتبان في زمن واحد عُرفا بابي قرّة . احدهما نسطوري اسمه شمعون من زيتا كان اسقفاً على حرّان (المجاورة للرها) ونصيبين . ولهذا تأليف جدليّ تناقلته الايدي منه نسخ عديدة في مكاتب اوربّة وخزائن الخاصّة في الشرق . والآخر ملكي اسمه ثاودورس او ثاودوريقي ناصب البدعة المنوثلية وهو صاحب الكتب اللاهوتية العديدة التي طُبع منها قسم في مجموع الآباء اليونان ووجد منها قسماً الابوان الفاضلان القس قسطنطين باشا الباسيلي القانوني ولويس معلوف اليسوعي . وكان هذا اسقفاً على حرّان . ولكن حرّان هذه غير حرّان ما بين النهرين . ولكن يصعب تعيين موقعها . ويوجد عدة امكنة في الشام بهذا الاسم منها حرّان الدوابيد في اللجأ . وحرّان في غوطة الشام . وحرّان في ايالة حلب (راجع معجم البلدان لياقوت ٢ : ٢٢٣) . ولعلّها قارة التي سبق لنا ذكرها فصُحّفت بحرّان . امّا دخول ثاودورس ابي قرّة بغداد فمحتمل لانّ الملكيين كان لهم فيها مطران من ملّتهم ل . ش

بيّن فيها المؤلف الاسباب التي حملت ابن الله على ان يتأنس ويلبس الطبيعة البشريّة

القول في تأنس الله الكلمة وهو لاربع خصال

الخصلة الاولى

الخصلة الاولى من خصال التأنس ارادة (الله) اكرامنا بالجزء الذي بهِ تأنس. ومثلُ اكرامهِ ايّانا مثل ملك اخطب لابنهِ من بيتٍ من بيوتات اهل مملكتهِ وجعل في نفسهِ ان ينقل اهل ذلك البيت اليهِ وينزلهم في جوارهِ ويخالطهم بنفسهِ ويدعوهم اهل بيتهِ ويشركهم مع ورثتهِ كذلك الخالق اكرمنا بتانسهِ وبتوحيد بشرهِ بلاهوته وباختلاطهِ بنا ومعاشرتهِ ايّانا ما صلح لنا. ثم ارتفع ببشره الى السماء وهو عتيد ان يأتينا ثانيةً فينقلنا اليهِ و يورثنا خيره ويشركنا بغناه

ومن اكرامهِ ايّانا ايضاً تسبقهُ بخلقهِ الخليقةَ لخلقِ آدم ابينا. والله السابق للخليقة والسبّب لها وبسبقهِ للخليقة نستدلُّ على غناه عن كل ما خلق. وكما ان الماء سبب النبات وهو السابق لهُ وليس بالماء الى النبات من حاجةٍ وبغنى الماء عن النبات يُستدلّ على ان النبات لغير الماء خُلق فكذلك يُستدلّ بسبق الخالق خلقهُ. على ان الخلق لغير خالقه خُلق والمخلوق لهُ الخلق لانهُ بعد الخالق كان كونهُ

ومثل صُنع الله الحكيم مُحكم الانسان مما يُستدل بهِ على احكام الله. مثل رجل امتلك لهُ امرأةً ثم يأخذ في تهيئة ما ينبغي للتبنّي بها فاحضرهُ بيته قبل دخول المرأة اليهِ. ثم انهُ اتى بالمرأة بعد فوجدتْ كل ما ينبغي لها معدًّا. فكذلك الخالق لم يزل في علمه مزمعاً بالتأنس فاعدّ ما ينبغي لأنسيّتهِ قبل التأنس ثم انهُ تأنس بعد إحكامهِ الخلق لكنّهُ خلق الجِبلّة التي منها تأنس خلق ما هو عتيد ان يُخلق لانسيّتهِ لتكون الجبلّة شاهدة على الخالق المتأنس عند معاشرتهِ الانس

ومن اكرامهِ ايّانا ايضاً انهُ نادى في الخليقة: «لنخلق انساناً على صورتنا وشبهنا» وذلك هو ابونا آدم الترابي. وكيف تكون صورة آدم المحسوسة بشبه من ليس لهُ مجسة؟. فليس قولهُ «نخلق على صورتنا» بان للّاهوت صورةً محسوسة ولكن لان ما لم يكن من المكوَّن عتيد لتكونهِ عند المكوِّن لهُ في علمه السابق فانهُ بمنزلة من قد كان. ولو تزل في علمه السابق التأنس فطبع الانسان الاول على ما هو عتيد لهُ ليكون الانسان نفسه

دليلًا على ما هو عتيد اذا ما جاءهُ في صورته. فالسماء والارض وما فيهما من متاع العاجل والآجل للجزء الموحَّد باللاهوت خُلق ومن اجلهِ وصف الله نفسهُ في الكتب انسانًا والالزام ما يلزم الانسان في جوهرهِ وهو الذي لا يزداد ولا ينتقص ولا يغيّرهُ الغيار. من السماء نزل وفي جوهرنا ظهر ودعانا اخوتهُ وابناء واخلاء. وعاشرنا سنين صغيرًا وكبيرًا يمثّل لنا بنفسهِ شرائع كلّ خير: لين وتواضع وصفح عن المسيء. وانشاد الخير كلّهُ الى الناس جميعًا ودفع السوء كلّهُ عن الناس جميعًا. وان لا نكون نكافي مكان الشرّ شرًّا. وحب البغيض ومصالحة للعدوّ وتركان البغي والحقد وان لا ننتصر. وصلاة وتضرّع وصوم ذات طيّ اربعين يومًا طواها مثال نقتدي بهِ. فتعالى وتقدّس ربّنا مكرمنا

الخصلة الثانية من خصال التأنّس

وتأنسهُ ايضًا ليعرفنا بتثليث وحدانيتهِ وكنه جوهرهِ. ومثلُ الوجه الذي هدانا بهِ الى معرفة تثليث وحدانيّتهِ ومحبّتهِ في لطفهِ ولينهِ وانسهِ بقدر ضعفنا وقدر عزّهِ مثلُ رجل ناطق اراد بأصمّ اخرس ضعيف الحيلة خيرًا فأومأ اليهِ بيدهِ في حاجته ايماء فانتفع الاخرس ولم ينتقص الناطق. فكذلك الله اللطيف الحسن التدبير في عزّهِ وضُعف جوهرنا اذ ظهر فينا في صورة البشر كاحدنا وتقلب تقلّبنا وسعى مساعينا وكلّمنا بكلامنا وأومأ الينا كما يومئ الناطق الى الاخرس فوصف نفسه بما ليس في جوهره. من ذلك قوله لاصحاب الصَرح بارض شنعر وهي التي سُمّيت بابل قال (تك ١١ : ٧) : نزل ونفرّق الالسن. وقال ايضًا في اهل سدوم عند ابرهيم (تك ١٨ : ٢١) : نزلتُ لأتبيَّن جُرمهم. وفي خلاص بني اسرائيل قال لموسى من العلّيقة (خر ٣ : ٨) : نزلتُ لأُخلّصهم. والنزول والصعود فيهِ الغيبة والشهود. ومن قوله ايضًا لآدم (تك ٣ : ٩) : يا آدم اين انت لعلّك ان تكون تناولت من الشجرة التي نهيتُك عنها. وقال لقاين (تك ٤ : ٩) : اين اخوك هابل. اذ لم يغبْ عنهُ صنيعهُ باخيهِ ولم يخفَ عنهُ مكان آدم. وقال ايضًا (تك ٦ : ٦) : ندم الله على خلقهِ (بني) آدم. وعلى تمليكه شاول (١ ملوك ١٥ : ١١). والندامة لا تكون الّا على حال لم يكن صاحبها يرى سبيلها. فقد وصف الله نفسهُ بالجهل اذ هو نفيٌ من الجهل. وظهر لابرهيم في صورة بشر وناقلهُ الكلام في قوم سدوم طويلًا لا يخالفهُ ابرهيم في ظاهر خلقهِ بشيء ما خلا العزّ والقوة. وحزقيل وداود وشعيا رأوهُ في صورة البشر وناطقهم كما يناطق

البشرُ البشرَ ولم يكفهم الظاهر منهُ الشبيه بهم عن الشهادة عليهِ انهُ الرب من قولهم رأينا رب الارباب في كذا وكذا وعلى كذا وكذا ». فكل ما رأت الانبياء جزءا من الخالق اقترَاهُ جزءا من الخالق ؟ لا. ولكنهُ بالذي علم انها تطيق النظر اليهِ فبهِ بهِ أعان لها وظهر وبهِ كلمهم وناطنهم لطفاً منهُ لهم وحسنَ تدبيرٍ. ولولا ذلك لم يحتمل الخالق عزّهُ ولا قوِيَ على كلامهِ. ومن النار فاقتاس (فاقتَبس) آية المؤمن. كيف لولا انك تقتبسها بعود او بفتيل اذن لما قدرتَ عليها ولا انتفعت بها. فخالق النار اعزّ واعلى من النار وهو الطف واحكم من خلقه

ففي وجه الانس والطمأنينة ظهر ربُنا لاصحاب التوراة الاولى في وجه ما كان عتيد ان يظهر فيهِ للأمم فشبه ظهوره اذ ذلك شهادة منهُ واساساً لما هو صانع. فمثل تقدمهِ في صورتنا لاصحاب الناموس الاول في خيلاء بشرنا يشبه ما هو عتيد لهُ حقيقة ما نحن ذاكريه. فنقول ان الحكمة لله وحدهُ ومنهُ تعلّم الخلقُ الحكم. ان الصياد اذا اراد صيد طير الماء احتال لها بحيلة وعمد الى قرعةٍ عظيمة فقوَّر فيها ثقبين نافذَين ثم القاها في ذلك الماء الذي فيهِ الطير وتركها اياماً كثيرة تصفقها الرياح يميناً وشمالاً حتى اذا اتى عليها حينٌ اطمأنت اليها الطير وأنست بها. فبعد ذلك يعمد الصيَّاد المحتال الى وثاق وسكّين ثم يدخل الى الماء الذي فيهِ الطير والقَرعة فيُدخل رأسهُ في جوف القرعة ثم يمشي بها نحو الطير حيثما رآها من الثقبين الذين كان ثقبهما فيها فيأخذ بارجل الطير فيغمسها في جوف الماء ويشدّها وثاقاً ويذبحها. فهذه حيلة من المخلوق. فالخالق احكم وأحيل فبحكم الحكيم ولطفهِ كان ظهوره للانبياء بخيال بشر حيلةً منهُ ليصيد البشر وشهادة للمؤمنين اليوم على المكذّبين لهُ فبالتي اراد ان يظهر فيها للامم حقيقةً بشبهها للشهود الاولين ظهر. شهدوا وقالوا « رأينا رب الارباب شبه بني البشر ». ففي وجه الانس والطمانينة اتانا ربنا بجوهرنا حقيقةً وليس بخيال بشر فقط كالذي كان ظهر لاصحاب الناموس الاول بل ببشريّتنا وهي انسيَّة اجتبلها من الطاهرة العذراء مريم واتانا ربنا فتولى دعوتنا وخلاصنا هو بنفسهِ ولم يولهِ العبيد كالذي كان اولاً لمن كان قبلنا كقول النبي اشعيا اذ يقول (اش ٣٥ : ٤) : « لا ملاك ولا رسول ولكن الرب ياتينا بنفسهِ ويتولى خلاصنا » لهُ الحمد والسجود الى دهر الداهرين امين

الخصلة الثالثة من خصال الناس

وثانيه ايضاً ليحرّرنا من العبوديّة ويفكّنا من اللعنة التي كنّا فيها اذ ذلك من عجزنا عن العمل الذي أمرنا بهِ في ناموس موسى في قوله (تث٢٧ : ٢٦) ملعون كل من لا يعمل بكل ما أُمر بهِ وينتهي عن كل ما نُهي عنهُ. ومثَل تحريرهِ ايانا وابطال اللعنة عنا مثَل رجل اجر نفسه من اخر يومهِ الى الليل فعمل العبد بعض النهار ثم عجز عن العمل. فلمّا ان رأى مولاه عجزهُ عمل عنهُ بقيّة نهاره فتمّم للعبد عند الليل اجرهُ لِما عمل وما عُمل عنهُ. فكذلك المسيح ربّنا الرؤوف الرحيم بعباده عمل عنّا ما كنّا قد عجزنا عن عملهِ فحرّرنا بعملهِ من العبوديّة وفكّنا ايضاً من اللعنة الواجبة علينا بتقصيرنا عن تمام العمل بما أُمر بهِ بادخالهِ نفسهُ في حدّ اللعنة اعني صلبهُ بلا جُرم. وذلك انهُ مكتوب في ناموس موسى النبي (تث ٢١ : ٢٣) : ملعون كلُّ مصلوب. والمصلوب بجرمهِ استحقّ الصلب. وشهرته في الصلب هي التي صيّرتهُ في الناس لعنةً. والمسيح ربّنا صُلب بلا جرم فكان في منظر اللعين بادخاله نفسهُ فيما في المصلوب بجرمِ من اللعنة في حدّ المصلوب. ولو كان ما عمل بهِ المسيح ربّنا من السُنن واجب عليهِ كما يجب على البشر اذن لكان عملهُ ذلك عن نفسه ولم يكن يتحرّر بهِ احد من اللعنة. وكذلك صلبهُ لو كان استحقهُ اذن لكانت اللعنة لازمة كما هو مكتوب ولم يكن بالذي يُفكّ بصلبهِ احد من اللعنة. فليس بعبادة العبد حرّرنا من العبوديّة ولا بموت الميت اللازم لهُ الموت لا محالة نجونا من الموت. ولكن بتعبُّد ابن البشر الكلمة الحيّ وبصلبه المجيد وبموت المنتجب من الطاهرة العذراء مريم المحتمل للموت نجونا من اللعنة والموت. ويشهد على ذلك الرسول بولس اذ يقول (غلاطية٤ : ٤) : «ارسل الله ابنهُ فكان من المرأة وصار من دون السُنن ليفتدي بذلك الذين هم تحت السنن. وقال يوحنا فم الذهب في قوله على الصليب: «هو الله ابن الله وهو ابن البشر من المرأة. هو مقدِّر الجواهر كلّها وحدّد لها الحدود وصيّر نفسهُ من دون السنن للحدود وما لم يجب عليهِ ان يعمله عملهُ وما لم يستحق عليهِ بليّةً احتملهُ. حرّر المؤمنين بلاهوتهِ وربوبيتهِ وبنوتهِ من الله الاب ممّا كانوا لهُ مستحقين ويبقى المكذبون بهِ من اليهود في العبوديّة واللعنة كقوله لهم (يو ٨ : ٣٦) : ان لم يحرّركم الابن تبقون عبيداً. وقولهُ ايضاً لهم (يو٨ : ٢٤) : ان لم تقرّوا باني

انا هو تموتون بخطيئتكم. ويقول (يو ٨ : ٥١) : والمؤمنون بي لا يذوقون الموت بل لهم حياة الخلد ولا حساب عليهم. أفلعلّك ايّها السامع تظن ان قولهُ « ان لم تقرّوا بأنّي انا هو » انّما اراد منهم على ان يقرّوا بهِ انهُ انسان؟ فلا تظن هذا بل اعلم ان الايمان انّما يجب على الغائب الخفي فامّا ما ظهر من الامور فانّها معروفة لانهُ مَن ظهر لهُ امر فابصرهُ بعينهِ ثبت في صدره الى الابد فينشرهُ ويحدث بهِ ولا حمد لهُ. ولو انهُ أعطي عطيّة أن يجهل ما عرفهُ عقلهُ لما وجد الى جهله سبيلًا. فالايمان الى الانسان ان شاء آمن وان شاء انكر وعليهِ الثواب والعقاب فنحن المقرّون انّهُ الله الاول معاشر بني اسرائيل وهو هو الآخر معاشر الحواريين والشاهد على ذلك هذا الرسول بولس اذ يقول (عب ١ : ١) : في وجوهٍ كثيرة وانواعٍ شتّى كلّم الله آباءنا في الانبياء اوّلًا وفي زماننا هذا كلّمنا بابنهِ » فباقرارنا بالله الظاهر بيننا ببشريّتنا صار لنا عملهُ وبطلت بهِ اللعنة عنّا وبقي المكذّبون بهِ من اليهود في اللعنة بجرمهم وكفرهم بنعم الله وبصلبهم ربّهم الذي بهِ تنّت خطاياهم وكل جرمهم. فليس منهم احد خلص من اللعنة لانهُ لم يتمّ احد منهم ما أُمر بهِ ونُهي عنهُ في الناموس الاول من موسى كاتبهِ الى آخر من يبقى منهم على الارض. فليس احد منهم استوجب الملكوت بعمل بل كلّهم عصوا وهلكوا بمعصيتهم وموسى اكبرهم واعزّهم لم يستأهل الدخول الى الارض التي أُوعدوها ويشهد هو على نفسه في التوراة فكلّهم ميتون بمعصيتهم. وذلك لو ان الرجل منهم عمل بكل ما أُمر بهِ وتجنّب كل ما نُهي عنهُ بعد ان يكون نقص خصلة واحدة كان قد استوجب اللعنة. والملعون عاصٍ والعاصي ميت بمعصيتهِ الّا من انعم الله عليهِ وصفح عنهُ واجاز عملَهُ وهم النبيون والصدّيقون والشهداء. وذلك انهُ مكتوب في ناموس موسى نبي الله (تث ٢٧ : ٢٦) : يعمل العامل كل ما أُمر بهِ ونُهي عنهُ في الناموس ومتى لم يعمل بكل ما أُمر بهِ ونُهي عنهُ يكون ملعونًا. فعمّت اللعنة الناس اجمعين. وانّ العامل القوي الله الرب يسوع المسيح تأنّس وعمل العمل الذي من اجلهِ وجبت اللعنة على العباد وكان عملهُ عن المؤمنين بهِ. فبعملهِ ابطل اللعنة عنّا وبايماننا حرّرنا من العبوديّة فاستوجبنا بذلك ملك السموات فنحن باعمالنا وهؤلاء باعمالهم نحن بايماننا بالله الكلمة الحيّ المتانس يسوع المسيح استوجبنا ملك السماء. وطُلب من بني اسرائيل عمل

يستوجبون بهِ رضا الله فوُجدوا ضعفاء ولم يكن لهم ايمان يستدركون بهِ تقوى الله فبقوا في مفازةٍ تقطع سالكها بالعطش. ولقد انطرد بين ظهرانيهم حجر الدين وجرت انهارًا فلم يستقوا (١ كور ١٠ : ٤)؛ ونحن آمنّا بالذي دعا الى الايمان بهِ. فكان لنا في المفازة عين تطّرد. فشربنا منها وفي استقائنا منها احتكرنا ونحن بها ديّانون الى الابد لهُ المجد والقدرة والسجود الى دهر الداهرين امين

الخصلة الرابعة من خصال الناس

وتأنسهُ ايضًا ينبت في قلوبنا العلم اليقين بالحيوة من بعد الممات وينقذنا من الشيطان الغالب لآدم ابينا والمتجوّر على ولده. ومثل هدايتهِ ايانا الى علم البعث مثَل اعتبار انسان بجنيّ دانق واحد من ذهب ام فضّة يُستدل بهِ على الف مثقال واكثر أُخذ منهُ الدانق. كذلك استدللنا ببعث المسيح ربّنا من بين الموتى على بعثة الناس كلّهم

ومثَل غلبة الشيطان واستنقاذ رعيته من يديهِ مثَل رجل كانت لهُ غنم وكان الى جانبها ذئب عادي لا يزال يضرب فيختلس الغنم وان الرجل عمد الى جلد شاة من غنمهِ فلبسهُ ثم وقف وسط الغنم كاحدها ما يُنكَر منها حتى اذا اقبل الذئب كعادتهِ بادرتهُ الشاة المتنكّرة فطاردَتهُ طويلًا وحالت بينهُ وبين الغنم. فلمّا ان رأى الذيب ما قد جاءت بهِ الشاة من القوّة ومناصبتها اياه ظنّ الذئب في نفسهِ ان الغنم قد تحولت فصارت في القوّة مثلها فولى الذئب هاربًا. فهذا حكم من المخلوق وحيلة والله احكم واحيل.....

ومن حكمتهِ وحسن تدبيره انهُ قضى بالموت على آدم وولده في اكلهِ من ثمرة الشجرة فغصّ بها آدم واستوجب بها الموت واورث ولدهُ بعدهُ الموت فمضى الدهر والازمان بمن مضى من الناس فصاروا رميمًا ولم يروا انّ لشيء من الذاهبين رجعة وظنوا ان الموت هلاك لا وجود لهُ. ثم قالوا ما اكلهُ السبع والطير ودواب البحر مع ما سحقهُ طول الدهر فصار ترابًا كيف يعود الى ما كان اوائله فوضعوا النوح واعلوا البكاء والتولول على موتاهم ولم يعتبروا فيما في ايديهم من الحكم فيقيسوا بها حكمة الله الاعلى. ومن تحكّمهم تمييز تربة الارض وتصنيفها من الجواهر ودود القز ايضًا بعد موته وذهاب الروح منهُ وتصيّره جلود يابسة يحيونهُ بحيلتهم. فان يكون من لم يبتدع خلق

الدود اول مرّة يحييه من بعد موته. فالمبتدع للشي، اولًا هو على احيائه بعد موته احكمُ وأقدر. فلن يعجز الصانع الحكيم على اصلاح ما انكسر من صنعته اذا كان هو المبتدع لهُ اولًا

ومن حكمته وحسن تدبيره انهُ رأى الرعيّة قد غلب عليها الشيطان الغالب لآدم فاراد غلبته واستنقاذ الرعيّة من يديهِ اذ لم يغالبهُ بالعزّ الذي لا يقام لهُ. ولكن تجلَّل بأُنسيّتنا من جبلّة آدم فقاتل بها قاتل الانسان الاول حتى انهزم واستنقذ رعيّتهُ كما طارد الذئب صاحب الغنم في جلد شاة من غنمهِ حتى انهزم فكانت الغلبة عند الذئب للشاة. فكذلك الله الحكيم اخفى لاهوتهُ في آدم فقابل بها الشيطان الغالب لآدم حتى هرب وأُعدت الغلبة لآدم. وذلك ان الشيطان اتى المسيح ربّنا في صيامهِ فقال لهُ (متى ٤: ٣): قل لهذه الحجارة تكون خبزًا. فماذا تقول في قول الشيطان هل كان واثقًا بقول المسيح ربّنا ان هو قال للحجارة «كوني خبزًا» تكون. فقد علم انَّ من قدر على ان يصيّر الحجارة خبزًا هو على ان لا يجوع اقدر. الّا ان المسيح ربّنا هو المهيّج للشيطان لما قال. ومانعهُ من ان يعلم الاخرى. وذلك ان المغلوب في الفردوس اوّل مرّةٍ في اكلهِ غُلب وبها رأى العزيز ان يغلب الغالب ليكون المغلوب للغالب لهُ قاهرًا. وذلك لو ان انسان مُنع حوائجه كلها حتى يبلغ مجهودَهُ من كلّها بالسواء اذن كانت حاجتهُ الى الطعام اول الحوائج كلها يُعنى بها. ولو عُرض على انسان من الحوائج كلّها واحدة بعد واحدة اياها الى ان استوى فيها في الحاجة لم يختر على الطعام شيئًا

ومن حكمتهِ وحسن تدبيره اذ اراد ان يجترّ الناس الى معرفة البعث واليقين بالرجعة لاهل القبور انَّهُ لم يأتِ الناس كبيرًا او غريبًا لا يُعرف فيقع الشك فيهِ والامتراء ويجد اهل الجحد والانكار لبعثه ما يحتجّون بهِ على إبطال انسيّته وذلك انَّ الشيطان قد يتخيل بشرًا ويتراءى في صورة انسان غير انهُ لا يوجد لهُ ثبات ولا مجسّة ولا بقاء لما يعاين الناس منهُ فلذلك لم يأتِ المسيح ربّنا خلقةً كبيرًا ام غريبًا ولكن حُبل به وولُد من العذراء مريم وهي عذراء ونشأ في مولده كما ينشأ الانسان. وسعى مساعي الانس وتقلّب تقلّبهم في الأكل والشرب والنوم واليقظة والراحة والشخوص والسؤال عن الامر كالجاهل بهِ مع العبادة التي يعرفها الناس من الناس لله الرب من شرائع بني اسرائيل وسننهم. فلم يدع المسيح ربّنا نقطةً ممّا أُمر بهِ ونُهي عنهُ في التوراة الّا احكمهُ عملًا

وكان عمله عن المؤمنين بهِ . فابطل بعمله عنهم اللعنة وحرّرهم بايمانهم بهِ فصاروا ابناء والخلاء واخوة ومحا عنهم اسم العبوديّة

ومن حسن تدبيره ايضاً جسُّ توما لجسدهِ عند جحوده بعثتهُ . وذلك انَّ توما قال لاخوته (يو ٢٠ : ٢٥) : لست بمصدّق ببعثة المسيح حتى اجسَّهُ بيدي . وما الذي اراد بجسّهِ أما كان يكتفي بالنظر اليهِ فقط . لم يكن بالذي يكتفي بشيء من خصالهِ سوى الجسَّة وذلك ان الشيطان قد يتخيل ويغر الناس في الخصال كلّها سوى الجسَّة فانها ليست في جوهره . والآيات قد تظهر للناس على وجه الارض بعضها حق من الله وبعضها من الشيطان ما يعرف الناس حقيقتها من باطلها في شيء من الخصال ما خلا الجسَّة والبقاء . فلذلك اراد توما ان يجسَّ من قد رأى منهُ الآيات والجوائح وقال في نفسه : ان مَن قد رأيت منهُ الآيات والجوائح ذلك الشخص هو الله . فان كان هو المنبعث حقًّا فان لهُ مجسَّة وان كان الذي رأوا هو خيال فان صاحبها كذلك . ولذلك قال لاخوته : لستُ بمصدّقكم بما تخبروني من بعثة المسيح حتى اجسَّهُ . وكان قوله في علم ربّنا يسوع المسيح قبل ان يقولهُ . وان المسيح ربّنا عاد اليهم بعد أيام الى العِلّيَّة التي كانوا فيها فدخل على التلاميذ والباب مغلق وقال لهم : السلام لكم . ثم دعا توما فقال لهُ : هات يدك فجسَّني ولا تشكَّ فيَّ واعلم ان الخيال ليس لهُ لحم ولا عظام كالذي تراهُ لي . فلمَّا ان حسَّ الشاب ربَّهُ الدقيق في عقلهِ ذهب عنهُ ما كان رأى في نفسهِ لعلَّهُ خيال ثم جرَّهُ عقلهُ الى ان آمن بهِ انهُ ربّهُ والههُ . وكان هو اوَّل المؤمنين بهِ بعد يوحنَّا المعمدان في قولهِ ربّي والهي . فكان من ردّ المسيح ربّنا عليهِ : « الآن حيث ابصرتَ آمنت طوبى لمن لم يبصرني وآمن بي » . ونحن على ايمان توما وعلى اقرارهِ ان المجسوس في العلّيَّة بيد توما هو ربّنا والهنا ولا اله لنا غيرهُ . وقد شهدت الرسل في الابركسيس على لسان يوحنَّا بن زبدى كاتب الانجيل على ان المجسوس بايديهم هو الله الذي لم يزل اذ يقول يوحنَّا في راس رسالته عن جميعهم (١ يو ١ : ١) : الذي لم يزل في البدء الذي رأيناه باعيننا وسمعناه باذاننا وجسناهُ بايدينا . ومن قوله ايضاً في آخر رسالته هذه قال عن جميعهم (١ يو ٥ : ٢٠) : « نعلم حقًّا ان ابن الله جاءنا فاعطانا علماً بهِ عرفنا الحقّ ونكون عليهِ بابنه يسوع المسيح وهو الله الحقّ وحياة الخلد » فليس ما كان من المسيح ربّنا من الخصال شبه ما في البشر من الحاجة والتوجع بغالب لهُ ولا قاهر ولا اتاه شيء قسراً عليهِ ولا جبراً لهُ

بل عن رضًى منهُ وقد كان قادرًا على ان لا يكون كل ما كان منهُ من ضعف ومما نحن ذاكريهِ من تقلّبهِ. فاعتبرْ أيها المؤمن من قولنا ان المسيح ربّنا لم يلزمهُ شيء من الضعف قط ولا جُبِر كما يلزم الانسان في جوهره. من ذلك صومه اربعين يومًا ولياليها لم يذكر انهُ حال فيها حتى اذا فرغ من صيامه عند ذلك قال (متى ٤ : ٢): اخيرًا جاع. والصائم من الآدميين لم يأتهِ الجوع في ساعة ولا في يوم ولكنهُ يبدأ من اول صومه فيستنشق الهواء ويزداد في الجوع. وان المسيح ربّنا صام اربعين يومًا طواها. فلما ان انكروا ذلك منهُ اظهر الجوع ووصف نفسه بهِ لكيلا تنكر انسيته. وقال الروح ايضًا (متى ٢٦ : ٣٩): انهُ تنحّى عن تلاميذه فصلّى ودعا بصوتهِ: ابتاه أجِزْ عني كاس الموت. ثم رجع الى تلاميذه فوجدهم نيامًا. فقال لهم: ما تستطيعون تسهرون معي ساعةً واحدة. ثم عاد الى مكانه فدعا الثانية والثالثة ورجع الى تلاميذه فقال لهم: ناموا الآن واستريحوا فقد دنا ذلك الذي يسلّمني. فاقبل يهوذا ومعهُ الشُّرَط فقال لهم المسيح ربّنا: لمن تريدون فقالوا لهُ: نريد يسوع. فقال لهم: انا هو فولّوا راجعين وخرّوا على وجوههم. ثم عاد فقال لهم المسيح ربّنا: من تريدون. فقالوا لهُ: نريد يسوع. قال لهم: قد اخبرتكم اني انا هو. وهو قبل ذلك في مثل طلقة المرأة من الجزع. وقال ايضًا (متى ٢٦ : ٣٨): «ان نفسي لحزينة الى الموت». وقال ايضًا (يو ١٠ : ١٨): ليس لاحد الى أخذ نفسي سبيل انا الذي اضع نفسي وانا آخذها ايضًا وليس لاحد عليها سلطان ان يأخذها مني». فمن كان لهُ سلطان على نفسه ان يحييها بعد موتها كان لهُ سلطان الى ان لا يوجع. وليس دفع الاوجاع بأعسر من احياء النفس. وقيل ايضًا انه اتاه الملاك لتقويته. وان من ايمان النصارى علامةً ما لا شك فيها ان لاهوت المسيح ربّنا منذ توحدت بانسيته لم تفترق ولم تغبْ ولكنها في البطن الطاهر وفي الصليب وفي القبر وهي الى الابد لا تفترق. فهل يُحتاج في بيت طلعت فيهِ الشمس الى ضوء المصباح. وما قد ذكرنا من المسيح ربّنا من الضعف وما لم نذكرهُ بمشيئتهِ كان وعن رضًا منهُ. ولولا ما ظهر منهُ ما هو للانسان لازم في جوهره من الجزع عند البلاء والجوع عند الصوم إذن لَقيل ما هذا ببشرٍ. وكان ذلك مما يبطل بهِ بعثهُ ويبطل بابطال بعثهِ عند النّاس بعثة الموتى عامّةً ولكن المسيح ربّنا بذل نفسه للموت المشتهر في اشهر الايّام وأجمعهِ اهلًا. وكان صلبه يوم الجمعة بتوفيقهِ. وذلك ان المصلوب في بني اسرائيل لم يكن يُترك

ليلة السبت على الخشبة ولولا انهُ صُلب يوم الجمعة فانزل من ليلتـه اذن لتمسَّخ فوق الصليب ولم يُدفن. ولكن وفّق صلبه يوم الجمعة ثم وفّق لهُ رجلًا من النـاس فاستوهبهُ من الوالي فأحدرهُ ثم ادرجهُ في ثياب ووضعـهُ في قبر جديد لم يكن وُضع فيهِ احد من الناس وكان ذلك بتوفيق المسيح ربّنا وذلك ان القبور في ارض المغرب مغاور وبيوت من حجارة يلقى في البيت الواحد والمغارة الواحدة بشر كثير. فلو ان المسيح ربّنا وضع في تلك البيوت التي فيها الموتى اذن لما صدّق بَعثَـهُ احد من الناس. ولعلّ القائل يقول هو احد هؤلاء الصرح ولم يكن عليهِ من حجّة ولكن المسيح ربّنا وفّق لهُ قـبرًا جديدًا ووفق لهُ ايضًا اليهود الذين سعوا بهِ الى ان قالوا للوالي (متى ٢٧: ٦٣): انّا سمعناه يقول لاصحابهِ اني اقوم بعد ثلاثة ايّام ونحن نتخوّف ان يسرقه اصحابه. فامروا بحَرْسهِ لئلّا يكون لهم حجّة يعتلّون بها. حتى اذا كان صباح الاحد انبعث كما اخبر تلاميذه وبقي على الارض بعد قيامته اربعين يومًا ليصدّقوا ببعثـه واكل وشرب وجُسَّ باليدين ليستقرّ عند الناس الايمان بانـيته. فلمّا ان رآهُ من كان قد رآهُ على الارض وعلى الصليب وفي القبر ومنبعثًا ومقيمًا على الارض في حال ما كان اولًا اتخذوا قياسًا لبعثة الاموات كلّهم... لهُ المجد والقدرة والسجود ولابيهِ وروحه الى دهر الداهرين امين

التراسل الكهربائي

لجناب الاديب ميشال افنـدي الياس سماحه

اثبتنا في مقالة سابقة (المشرق ٨٦٧) الطرائق المتعدّدة التي سوّلها العقل للبشر في كرور الادهار للتراسل بين البلاد وترقية اسباب الألفة بين الشعوب. الّا انّ القرون الاخيرة قد بلغت من ذلك مبلغًا لم يَدُر على خلد الأقدمين وذلك باختراع احد عوامل الطبيعة المكنونة التي عرف العلماء السابقون اسمها ولم يقفوا على قواهـا العجيبة نريد الكهرباء.

قيل انّ اوّل من ذكر الكهرباء احد فلاسفة اليونان اسمهُ تاليس الميليطي نحو ٦٠٠